

**القيادي في «إخوان سوريا».. لـ «الوقت»**

## زهير سالم: ليس في الإسلام رجال دين ولا مؤسّسة دينيّة

ـ **الوقت** ـ نادر المتروك

القيادي في جماعة الإخوان المسلمين السوريّة، زهير سالم (مواليد حلب 1947)، ينظر إلى الإخوان المسلمين باعتبارهم امتداداً لدعوة الإسلام الأولى، ولا يمكن تأطيرها بالأشخاص أو بالتنظيمات الحزبيّة. وفي حين يؤكّد سالم على أنّ تجربة الإخوان في سوريا كانت ناجحة في العمل التدريجي؛ فإنّه يدعو إلى عدم الاستهتار بعوائد المجتمع في مجال العمل الدّيني. في هذا الحوار؛ نبحث مع سالم في بعض الأفكار التي تميّز بها، ومنها أطروحته في التفكير المجتمعي، وفي البغي المذهبي. وعلى رغم تمسك سالم، الذي يدير مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية في لندن، بمرجعية النصّ وقديسيته، فإنّه يرفض وجود مؤسّسة دينية في الإسلام، داعياً إلى التجديد الديني المتواصل الذي يضمن استمرارية الشريعة، ويقول بأن إخوان سوريا طرحوا مشروعاً يفوق في عصريته وحداثته طروحات الحداثيين. وهذا نصّ الحوار.

بنوع من الثّورة الخرقاء، ولا نظن أن الإخوان المسلمين يمكن أن يتبايعوا هؤلاء.

### المجتمع المفكر.. والنهوض الحضاري

■ لديكم رؤية بحثية حول «المجتمع المفكّر» ذاهبين إلى اعتبار التفكير المجتمعي العام فريضة قرآنيّة، ما هي الملامح الأساسية لأطروحة «المجتمع المفكر»؟

ـ بناء الإنسان المفكّر وبالتالي المجتمع المفكّر مطلبٌ قرآني أساسي. الفقهاء يعتبرون التقليد في فروع الإسلام رخصة للمسلم العاجز عن النظر، وليس أصلاً في حياة المسلمين. أما في أصول الدين فإن الرخصة لم تكن بهذه السعة. يقول علماء أصول الدين (علم التوحيد) أو علم العقائد أنه لا بد للمكلف من حظ أدنى من النظر يدرك به حقيقة إيمانه، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم امتحن المرأة العاققة البكاء بسواله (أين الله)، والقرآن الكريم جعل التفكير مطلباً فردياً وجماعياً ( قل إنما أعزّكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة)، كما جعل التفكير في الكون والحياة مدخلاً أساسياً للإيمان. إن القرآن يتحدّى الناس بالتفكير ويدعوهم إليه، ويفتّح عقولهم وقلوبهم على حقائقه، ويشعّ على التقليد والإمعات ومتبعي الأيآء والأجداد على غير بصيرة.

■ النقاش الذي يفتحه البعض هو أنّ الدعوة إلى العقل في القرآن كانت خبوية وليست عامة. ماذا تقول؟

ـ علينا أن نتذكّر أن القرآن توجهّه إلى أمة أميّة، لم يكن الخطاب وهو يتحدّث عن خلق السماء والأرض والسحب والرياح، والليل والنهار، والشمس والقمر والحياة والموت يتوجّه إلى علماء أو متفكّين أو مفكرين، وإنما كان يتوجه على العموم إلى أمة أميّة يطالب الفرد فيها ويطالب الجماعة منها أن يتفكروا أو يتدبروا أو يتعلّلوا ليدركوا الحقائق. القرآن اعتبر التفكير مدخل الإيمان ومقدّمه له وهو قرّر هذا في أكثر من موطن بلهجة التحدي، وحسب القرآن الكريم، فإنّ نتانج هذا التحدي ستكون مقبولة (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر). والله سبحانه وتعالى خلق الجنة وخلق لها أهلها، وخلق النار وخلق لها أهلها، وقال كما في الحديث الصحيح هوّلاء للجنة ولا يبالي وهوّلاء للنار ولا يبالي، ربما هناك سوء فهم للموقف الإسلامي حتى من بعض المسلمين لهذه الحقيقة.

■ كيف تعلقون على بعض الآراء التي رأّت أنكم كنتم متردّين في منح التفكير مساحته الطبيعية وذلك لركنكم – في نهاية المطاف – ترهنون الفكر إلى قدسية النصّ ومرجعيته؟

ـ لقد اطلعن على تعليق أحد الأفاضل على ما كتبت. شعرت حينها إن الفاضل المذكور يريد العبارة في مقام تكفي فيه الإشارة. فأنما مع تمسكي بقديسية النصّ ومرجعيته أيضاً بالنسبة للمؤمنين به وفي

مجتمعاته لا أرى قدسية النصّ تتعارض مع حرية التفكير. كيف وهذا النص نفسه هو الذي يفتح باب التفكير ويدعو إليه، ويفرضه، ويقبل نتائجه؛ تبقى هناك في عالمنا العربي حالات من المراهقة الفكريّة، حيث لا يعدّ الإنسان نفسه مفكراً إلا بالعدوان على النصّ، والسخرية من عقائد المجتمع وثوابت الناس، أو الاستهتار بمعطيات الحوار الفكري. إذا عدت إلى التراث الفكري والثقافي نستجد أن علماء الأمة ومفكريها الثقافت اختلفوا على مدارج طويلة من الخلاف، شرقاً وغرباً وقدماً وأخراً، ولكن بمنهجية العالم وحسن تأنيبه في نفسه، في تفسير أبي بكر الرازي – صاحب مختار الصحاح – عرض ما يزيد عن ألف وثلاثمئة مسألة حول أي من القرآن الكريم.. مما يدخل في باب (مشكل القرآن)، بعض الإشكالات تاريخي وبعضها عقلي، وبعضها ديني، ثم يجيب على هذه الإشكالات على طريقتة ويأسلوبيه. مرة أخرى رسالة الإصلاح السياسي أو الفكري أو الاجتماعي تتطلّب منهجية قاصدة تصل إلى المطلوب بأقل ما يمكن من الفوضى أو الضوضاء وربما هذا يختلف عمّا يسعى إليه بعض طلاب الشهرة بالخروج على المستقر والمألوف. القاعدة الذهنية للمصلحين: اكس الفكرة ثوباً يصف تارة ويشف أخرى واجعلها تمر.

### التفكير الطائفي أو البغي المذهبي

■ ما هي رؤيتكم للمحاربات الطائفية الجارية اليوم؟

ـ (الطائفية) واحد من الأمراض القديمة/ الجيدة في حياتنا الإسلامية العامة. نشأتها في بيئَةِ تمايز وتنافس بين الشافعي والحنفي، ومع ذلك استطاع المجتمع السوري المتدين بالحكمة التي أشرت إليها أن يتجاوز هذه الحالة. المقياس الأساسي في تحديد من هو الطائفي أو في تحديد المنهج الطائفي هو أن نمايز بين من (يمارس الطائفية) وبين من يتشكّى منها. الشكوى من الطائفية ليس انغماساً فيها. والإشارة إلى مظاهر المرض وأعراضه ويؤرد ليس وقوعاً فيه. كثيرون يخلطون بين ممارسة الطائفية وبين الحديث عنها أو الشكوى منها. نحن نحمل مشروعاً إسلامياً جامعاً يتجاوز جميع العننات التاريخية وندرك أن للتاريخ الثقافي والتقافي والاجتماعي مقرّزته، وأن علينا كمسلمين أن نحذّر نقطة انطلاق جامعة نحو المستقبل. والحركة المسددة جديرة بتذويب المفارقات. نقطة الانطلاق في معالجة (الشأن الطائفي) وجود العقلاء الممثلين لجميع الاتجاهات ومن ثم لغاؤهم وحوارهم للخروج من المازق الطائفي. لا ننسى أن (الطائفية) أو (المذهبية) بعبارة أدقّ تتمثّل في بعض الحالات بغوى مركزية، مسؤوليّة هذه القوى في هذه الحالة ستكون أوضح، أو تتمثّل في مرجعية، ومسؤوليّة المرجعيات النافذة ستكون أكثر تحدياً.

■ أشير إلى أنكم أصدرتم ورقة في هذا الشأن، وعلى رغم أنكم تنطلقون من رؤية متسامحة مع الأطياف الإسلاميّة المختلفة، إلا أن هناك من يرى بأنكم وقعتم في فخّ الواقع الملتهب. هل يمكن معالجة الشأن الطائفي الراهن بمعزل عن «مؤامرة» الفتنة المذهبيّة؟

ـ موفاقي من القضية المذهبية تحدّد بشكل علمي في ورقة خاصة أصدرتها بعنوان (البغي المذهبي لن نستكت عنه ولن نستجر إليه)، إذا توقفتّم عند المصطلح (البغي) ستجدون أنه التعبير القرآني للإشارة إلى حسالة الخلاف بين المؤمنين (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما،. فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي)، وقال لسيدنا عمار رضي الله عنه: ثقّلك الفتنه الباغيه. إن استعمال مصطلح (البغي) في الورقة الني قدّمتها بحد ذاته يحلّ موفقاً ودلالة. اعتدق ككاتب وصاحب رسالة من مهمتي الأساسية التجديد بما أفنّه يشكل خطراً على مستقبل الأمة، ولو فهم أحياناً على أنه موقف طائفي.

■ على أيّ نحو تموّض ظواهر التطرف والغلو ومشابهاتها في العصر الحديث؛ وهل ثمة علاقة بين التفكير السلفي وانتشاره واتساع مظاهر التطرف الديني اليوم؟

ـ بالنسبة (لغلو في الدين)، وهو المصطلح الذي أفضله، فهو الآخر ظاهرة تاريخية لها جذورها ويمكن لأيّ إنسان أن يكون (غالياً) أو منطرفاً سواء كان سلفياً أو ظاهرياً سنياً أو شيعياً. التطرف أو الغلو ينشأ كردّ فعل على واقع أكثر منه استجابة لتغذية فكرية أو عقائدية. حين يوضع الإنسان أمام معادلة يصعب عليه فهمها أو استيعابها يرى في رفضها أيسر السبل للاتنصار عليها. بدأ الغلو بالخروج على الحكومات ثم تطوّر إلى الخروج على العالم. وللحقيقة والإنصاف فإن من يراجع مدرسة الفقه السلفي السياسي (الفقه الحنبلي) يجد هذا الفقه من أكثر المدارس الفقهيّة الإسلامية مرونة وتعاظياً مع الواقع، وتستطيع أن تعتبر الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى أحد المؤسسين الحقيقيين لفقه (المصالح والمفاسد) الذي يرفضه الغلاة اليوم، ويعبّرون الحركات الإسلامية الأخرى به. تستطيع أن تنسب اتساع ساحة التطرف اليوم إلى فداحة الظلم الذي يشهده الفرد، حيث أصبحت الحرب بكلّ فظائعها تعرض نفسها على كلّ فرد في غرفة نومه وعلى مائدة الإفطار. الطفل القليل والبيت المهدم، والتصرّح المستفز، هذا ما يصنع التطرف في عالمنا العربي والإسلامي اليوم.

### نعمل لإزاحة المؤسسة الدينية في الإسلام

■ هل يمكن إنجاز إصلاح ديني من خارج المؤسسة الدينية، وعلى يد مفكرين ومتفكّين لا يتنون رسمياً

العدد 515 | الجمعة 6 رجب 1428هـ | Friday - 20 July 2007



إلى مؤسّسة رجال الدين، خصوصاً مع ملاحظة التركيب الاجتماعي العام للمسلمين والذي لا يتقّ إلا بال لغة الدينية التي تخرج من الأطر الدينية التقليدية؟ – إحدى الأفكار التي نعمل جاهدين لإزاحتها عن الواقع الفكري والسياسي والاجتماعي هو وجود المؤسسة الدينية في الإسلام، أو وجود اختصاص لأكليروس أو لرجال الدين. ليس في الإسلام رجال دين، وليس فيه مؤسّسة دينية. وكلّ مسلم مؤهل بالشروط العلمية المنهجية ليتحدّث عن الإسلام. وهذا جدير بإبحاث حالة من (التدافع) الرباني الذي هو إحدى السنن الربانية في التغيير، البعض يسميه فوضى، مرة أخرى نعود إلى الفرد المميّز والمجتمع المفكر القادر على التمييز بين الحق والباطل، أو بين أسويه (التجديد الديني) – سيكون وليد هذه الحركة الدائبة. هذا لا يلغي أن يكون للمسلمين عموماً مرجعية فقهية في حال غياب المرجعية السنياسية، ولكن المرجعية العلمية ليست سلطة مستبّذة، فكّل متكلم في الشريعة يردّ عليه سوى المعصوم عليه صلوات الله وسلامه المجتمع المسلم يميّز لغة الصق ويعرف أهلها، وينحاز إليهم، فهناك كثيرون يتحدّثون بلهجة دينية إما تقليدية جامدة أو مزخرفة موهمة فلا هذا يقلل ولا ذاك يروج.

### المفكرون المسلمون في الغرب

■ كيف تقاربون مجموع الأفكار "التجديدية" التي تترجمها النخبية المسلمة في أوروبا بغرض إحداث معايشة هادئة، وسليمة مع الوسط الأوروبي، وفي الوقت ذاته تقديم إسلام "عصري"؟

ـ أمويل في هذا السياق إلى الحديث عن (الإسلام المتجدد)، والتجديد مطلبٌ إسلامي أصيل يُطلق عليه الفقهاء اسم (تنزيل النصوص على واقع الناس)، والقاعدة الفقهيّة تقول (لا ينكر تغيّر الأحكام بتغيّر الأزمان). لا بد أن نقف عند الإمام الشافعي بين فقهين. إن عملية التجديد الإسلامي تتمّ في الشرق والغرب على السواء، والإخوان المسلمون في سورية قدّموا مشروعهم السياسي الذي شهد له الكثير من المفكرين على أنه أكثر عصريّة وأكثر حداثة من كثير من طروحات الحداثيين. إن الاستجابة الإسلامية لمتغيّرات الواقع في إطار الثوابت المطلقة هي في الحقيقة جوهر الموقف الإسلامي وسرّ خلود الشريعة الإسلامية. وعندما يقول الإسلاميون إن الشريعة الإسلامية تصلح لكلّ زمان ومكان فهذا هو المقصود، وليس المقصود أن الحركة الإسلامية حركة ماضوية ستعود بالحياة العامة في أفاقها السياسية والاجتماعية، الثقافية، إلى طرائق وأساليب العيش في القرون الأولى. إن الشريعة الإسلامية مقاصد تدور حول مصالح الأمة، وحقيقتاً كانت المصلحة الشرعية المعتربة فتمّة شرع الله.

## ماذا يقصد بسنة النبي وسنة الرسول؟

# الأحاديث الشريفة ليست وحياً ولم يتعهد الله بحفظها

تحريف، وتمّ التأكّد من صحة نسبتها إلى النبي بصورة موثقة إلى درجة اليقين، هل تصير هذه المادة الحديثيّة وحياً إليها تشريعياً ملزّمين بها؟!

والجواب: لا، ليس وحياً وغير ملزّمين به. لأنّ مادة الحديث النبوي هي من تأليف النبي وتفاعله مع الرسالة الإلهية. فحديث الله غير حديث النبي، والعلماء فرّقوا بينهما بالتعريف فقالوا: الحديث النبوي هو المعنى من الله واللغظ من النبي. أما القرآن فصياغته اللغوية ميني من الله عزّ وجل. وإذا تمعّنّا تعريف العلماء للحديث النبوي نصل إلى أن الله عزّ وجل أنزل وحياً بالمعنى دون المبني على النبي. وهذا الكلام هراء لا قيمة له، وذلك لأنّ المعاني مرتبطة بالمباني، والمباني هي أوعية وأجساداً لحمل المعاني لا يفترقان أبداً، وبالتالي لا يمكن أن يتم نقل معنى لإنسان دون مبني يحمل هذا المعنى. والوجه الآخر لبطلان هذه المقولة أن الإنسان لا يفكر إلا ضمن لغة تكون حاملاً وبسيطاً لفكره، فإذا انتفت اللغة انتفى التفكير، وبالتالي لا يمكن أن تجعل إنساناً لا يملك لغة أن يقوم بعملية التفكير أو أن تتواصل معه فكرياً، هكذا خلق الله الإنسان لا يفكر إلا ضمن لغة، فإذا أراد الخالق من الإنسان شيئاً تكلم معه بلغته، والحجز والمحدودية في الإنسان وليس في الخالق. وإذا ثبت أن مبني الحديث من النبي كأنسان وهذا ثابت في واقع الحال باعتبارهم؛ ثبت ضرورة أن المعنى من النبي متلازم مع المبني لا يفترقان، فمادة الحديث النبوي هي أمر مرتبط بشخص النبي وتفاعله الزمكاني مع الرسالة الإلهية، وليست هي وحياً، وليست هي مصدرأ تشريعياً، وإنما هي مادة تاريخية عظيمة، إنها التفاعل الأول مع الرسالة الإلهية الخاتمية.

زمان ومكان. فمنّ كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومنّ كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وواقع مادة الحديث النبوي شاهد على ما أقول من كونها مادة لم يرز الله حفظها ابتداءً، انظر إلى هذه الإشكاليات على سبيل المثال: اختراق مادة الحديث النبوي زيادة كما هو مشاهد في كتب الحديث، واختراق مادة الحديث النبوي نقصاناً وهذا ثابت عقلاً ونقلاً. ووجود تعارض وتناقض في الروايات بصورة مذبلة، ووجود روايات تنهى صراحة عن كتابة غير القرآن نحو قول النبي [من كتب عني غير القرآن فليمحله]، وعدم اهتمام كبار الصحابة برواية الحديث أو حفظه، وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين الأربعة. مع العلم أنهم من حفظة القرآن، وقد اهتموا جداً بالنصّ القرآني كما هو معلوم من جمع المصحف في زمن أبو بكر وتوحيد القراءات في زمن عثمان. وورد عن النبي مجموعة من الروايات التي تؤكد على أن المصدر الإلهي الوحيد للتشريع هو القرآن نحو قول النبي: [أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتابُ الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به- وحثّ على كتاب الله ورغب فيه- ثمّ قال وأهل بيّتي أنكركم الله في أهل بيّتي- وكرهها ثلاث مرات. أخرجه مسلم برقم 4425/وأحمد

وما نكرته إنما على سبيل الاستئناس، وليس على سبيل البرهان. فأنا أعلم أن كل مسألة من هذه المسائل ممكن أن يوجد لها غيّاب الأسانيد لتفيقا معينة ليزيروا هذه الأمور ويستمرّون في استبعاد الناس. فأقول من باب الحوار لو افترضنا على سبيل المثال أن الأحاديث النبوية قد وصلت إلينا كلها دون زيادة أو نقصان أو

### مداخلات

■ سامر إسلامبولي

علماء الأصول عندما يذكرون مصادر التشريع يقولون: القرآن والسنة، والإجماع، والقياس فيستخدمون كلمة "السنة"، ولكن حين التطبيق والدراسة يحل محلها مادة الحديث النبوي كمصدر شرعي عوضاً عن السنة، وهذه العملية من العلماء هي تدليس وتحريف وخلط ما بين السنة والحديث لتمرير ما يريدون من أفكار تخدم السلطة الاستبدادية وتكرّس الاستعباد؛ فعودة إلى السنة، ونسأل: ماذا يقصد بسنة النبي وسنة الرسول؛ سنة النبي: هي الطريقة المنهجية التي استخدمها في التعامل مع الرسالة الإلهية لإسقاطها على واقعهم، وهي ما أطلق الله عليها صفة الحكمة.

وهذه الطريقة موجودة في فحوى الرسالة، فكّل من يقرأ الرسالة الإلهية يستطيع أن يصل إلى هذه المنهجية (سنة النبوة). قال تعالى: [ربنا وابتعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم].

### اختراق الحديث وتعارضاته

ومن خلال تفاعل النبي مع الرسالة والواقع مستخدماً الحكمة؛ جرت على لسانه الأحاديث المتعلقة بفهمه للرسالة والواقع، وهذه الأحاديث هي من تأليف النبي وفهمه للرسالة وليست وحياً أبداً، ولم يتعهد الله بحفظها لأنها مرتبطة بشخص النبي ويزمّانه ومكانه، والنبوة – كما نكرت في مقال سابق- هي خاصة في الزمان والمكان والمجتمع، بخلاف الحديث فهي عامة وصالحة لكلّ